

مختصر ابن كثير

123 - يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين .

أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام ولهذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا شرع في قتال أهل الكتاب فتجهز لغزو الروم لأنهم أهل الكتاب فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهد الناس وجذب البلاد وضيق الحال وذلك سنة تسع من هجرته عليه السلام . ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجة الوداع ثم عاجلته المنية صلوات الله وسلامه عليه بعد حجته بأحد وثمانين يوما فاختره الله لما عنده وقام بالأمر بعده وزيره وخليفته أبو بكر الصديق عليه فأدى عن الرسول ما حملة ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدة الصليان وإلى الفرس عبدة النيران ففتح الله ببركة سفارته البلاد وأرغم أنف كسرى وقيصر ومن أطاعهما من العباد وأنفق كنوزهما في سبيل الله كما أخبر بذلك رسول الله وكان تمام الأمر على يدي وصيه من بعده وولي عهده الفاروق عمر بن الخطاب عليه فأرغم الله به أنوف الكفرة الملحدين واستولى على الممالك شرقا وغربا ثم لما مات أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافة عثمان بن عفان عليه شهيد الدار فكسى الإسلام حلة سابعة وأمدت في سائر الأقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة فظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها . وعلت كلمة الله وظهر دينه وبلغت الملة الحنيفة من أعداء الله غاية مآربها وكلما علوا أمة انتقلوا إلى من بعدهم ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار امثالاً لقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار } .

وقوله تعالى : { وليجدوا فيكم غلظة } أي وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم لهم فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقا بأخيه المؤمن غليظا على عدوه الكافر كقوله تعالى : { أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين } وقوله تعالى : { أشداء على الكفار رحماء بينهم } وقال تعالى : { يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم } وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أنا الضحك القتال " يعين أنه ضحك في وجه وليه قتال لهامة عدوه . وقوله : { واعلموا أن الله مع المتقين } أي قاتلوا الكفار وتوكلوا على الله واعلموا أن الله معكم إذا اتقيتموه وأطعتموه وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى لم يزالوا

ظاهرين على عدوهم ولم تنزل الفتوحات كثيرة ثم لما وقعت الفتن والأهواء والاختلافات بين الملوك طمع الأعداء في البلاد ثم لم يزالوا حتى استحوذوا على كثير من بلاد الإسلام وفي الأمر من قبل ومن بعد